ماريو فارغاس يوسا يتحدث عن دون كيشوت

الهدف ليس قول الحقيقة بل نسج الأكاذيب

ترجمة: إسماعيل خليل مجيد

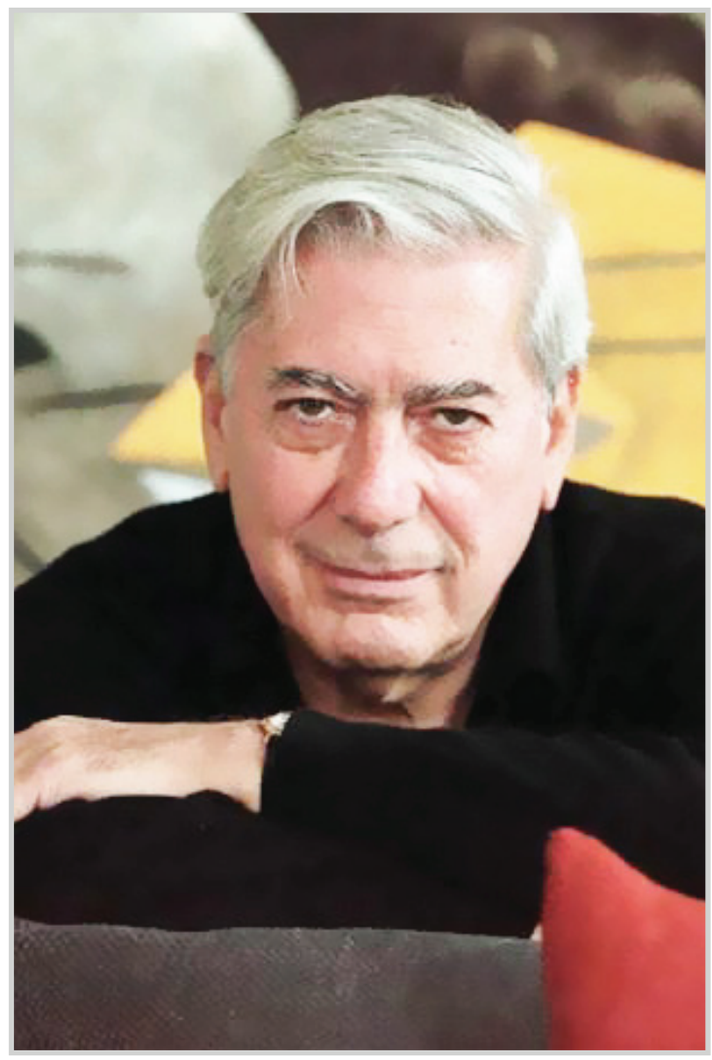

ماريو فارغاس يوسا

غالباً ما أُسأل عن تأثير رواية «دون كيشوت» في حياتي وكتابتي، فأرتبك وأعود لا اعرف كيف أجيب. أحيانا لا يسع المرء أن يحدّد في شكل دقيق كيف تأثر بهذا الكاتب أو ذاك، فأبلغ التأثيرات تلك التي تكون غائمة. أعرف أني حاولت قراءة كتاب ثرفانتس عندما كنت في المدرسة الثانوية، ولم افلح. أتعبتني لغته الاركاييك وجمله الطويلة ولم يشدني، لم استطع إكماله، فصرفت النظر عنه. لكني عدت اليه أيام الجامعة، وقرأته بفضل كاتب اسباني هو مارتينيث أثورين، الذي كتب عام ١٩٠٥ كتابا صغيرا جميلا عنوانه «طريق دون كيشوت»، هو ريبورتاج عن الأماكن التي جال فيها الفارس الكبير. لقد سحرني هذا الكتاب وحرضني على أن أحاول مرة ثانية قراءة مغامرات دون كيشوت، وهذه المرة قرأتها كاملة، بلذة كبيرة واهتمام وحماسة.

إن «دون كيشوت»، بكل ما فيها من مسافة ساخرة مع التاريخ والقيم والهويات، وبكل ما تبرهن عن فن حياكة القصص، هي التي صنعت من دون شك الرواية واللغة الحديثتين: ليس ما أقوله سوى أمر بديهي، لا بل إن كل ما يكتب في الاسبانية فيه رائحة ثرفانتس، مثلما كل ما يكتب في الانكليزية فيه رائحة شكسبير، لكن الأهم من هذا كله هو أني أستطيع ان ازعم ان ثرفانتس انتقم من حياته الحقيقية عندما كتب «دون كيشوت»، فهو عاش من دون ثروات ولا ألقاب نبيلة، وكان معذبا ومقموعا، فخلق العمل الأخصب في تاريخ الثقافة الاسبانية كفعل عصيان وثأر من واقعه. كان هذا الكاتب الكبير مدركا تماما أن الرواية ليست موجودة لتجسد الواقع، بل لتنفيه، وهذا ما فعله بالضبط إذ اخترع دون كيشوت، الفارس العنيد الحالم الذي يرى العمالقة حيث هناك طواحين، والأمل حيث هناك يأس، والطيبة حيث هناك شرّ. دون كيشوت دي لا مانشا إنسان متطرف، يظن انه يملك الحقيقة المطلقة، ويفشل باستمرار في التعلم من أخطائه. إنه رجل، على غرار صانعه ثرفانتس، يريد ان يهرب من عبودية الحياة الواحدة المحدودة، من خلال اختراع حيوات أخرى لنفسه.

أما سانشو بانثا، فظني ان ثرفانتس اخترعه ليوازن تطرّف دون كيشوت انه رجل عادي، براغماتي في نظر المجتمع، ومواطن مثالي.

لطالما حاولت الأنظمة التوتاليتارية ان تسيطر على حياة الإنسان، ولطالما مارست الرقابة على أعمال التخييل لأنها أدركت انها تحرّض على التمرد وتخلق حس النقد لدى القراء. وفعلا، عندما يقرأ المرء روايات كثيرة، قد يدفعه ذلك إما الى الجنون، وإما الى اليأس، مثل الجنون الذي أصاب الونسو كيخانو، أو اليأس الذي وقعت بين براثنه مدام بوفاري مثلا عندما يقرأ الإنسان، يكتشف انه «عالق» في عالم الواقع، وان عالم الواقع هذا فقير جدا مقارنة ب «ما يمكن ان يكون»: وهذا ال«ما يمكن ان يكون» هو ما تقدمه لنا الروايات. شخصياً، استطعت بفضل أعمال ك«دون كيشوت» و«مدام بوفاري»، ان أحب بقدر ما أحببت، وان ارتكب كل الجرائم التي ارتكبت. تلك هي سلطة الرواية، إن «دون كيشوت»، على غرار «الاوديسيه» أو «الكوميديا الإلهية» أو «هاملت»، أعمال تغنينا كبشر وتثبت لنا ان المرء يمكنه من خلال الخلق الفني والأدبي، ان يكسر حدود ظروفه ليسمو أبعد منها.

الرواية رحلة أدبية، ليس هدفها قول الحقيقة بل نسج الأكاذيب، وذلك ما يفعله دون كيشوت، ولذلك نتلذذ بتصديقه. ولذلك أيضاً أشعر بالتماهي مع روح هذا الفارس، من حيث أني ارفض ان اقبل الواقع كما هو، واني أحاول جاهدا تغيير العالم، عالمي، لكي يصير أكثر تطابقاً مع أحلامي وأفكاري ومبادئي. تلك هي الشجاعة العظيمة التي ينفحها فينا دون كيشوت، شجاعة ان نكون أحراراً. فقبل أي شيء آخر، «دون كيشوت» صورة: صورة الفارس الحرّ الذي يجول العالم، يساعد الضعفاء والمظلومين ويعمل على إحلال العدالة في العالم: نحن نعرف ان هذا المثال الأعلى مستحيل، وكل ما في واقع دون كيشوت كان ينقضه أصلا. إذ لم يكن ثمة حوله فرسان رحالة، ولم يكن هناك مبادئ، ولا كان احد يكترث بإحلال العدالة ولا باحترام القيم. عالم دون كيشوت أن وجد فقط في الخيال، في الأساطير واليوتوبيات التي يفبركها البشر للهرب من وحشية الواقع وإيجاد الأمان وتحقيق الحرية. ربما تتساءلون أي مفهوم عن الحرية لدى دون كيشوت؟ إنه المفهوم نفسه الذي صنع في أوروبا بدايات القرن الثامن عشر أولئك الذين نسمّيهم الليبراليين: حرية ان يقرر الفرد حياته بلا قيود ولا ضغوط، بل بناء على ذكائه وإرادته الخاصين. لذلك يمكننا ان نمنح «دون كيشوت» معاني سياسية، وان نذهب حد القول ان كفاح البطل ضد طواحين الهواء يشبه مثلا كفاح معاصرينا ضد الشركات العالمية التي تمتص دماء الناس.

إن «دون كيشوت» إذاً، فضلا عن كونها رواية تمجد سلطان الخيال، هي نشيد حرية. ألم يقل ثرفانتس على لسان فارسه: «الحرية يا سانشو هي أثمن هبات الله للإنسان. لا شيء يعادلها قيمة، لا كنوز الأرض ولا ثروات البحار. في سبيل الحرية، كما في سبيل الشرف، يجب على المرء أن يجازف بحياته»!

في اختصار، «دون كيشوت دي لا مانشا» متاهة حقيقية من الأنواع الأدبية والشخصيات والمفاهيم والأزمنة والأمكنة، أبعاد تتكاثر الى ما لا نهاية لتعكس في تنوعها الفائق تعقيدات الحياة الإنسانية، لهذا السبب فارسنا خالد، ولهذا السبب ما زلنا نتكلم عليه بعد مرور أربعة قرون على ولادته. فهو لم يزل هنا، معتليا حصانه الوفي، متجولا في لا مانشا واراغون وكاتالونيا وأوروبا وأميركا والعالم أجمع. نعم، لم يزل هنا، تحت المطر وتحت الشمس الحارقة، في الأدغال والصحارى وبين ناطحات السحاب، في صمت الليالي القطبية وحرارة النهارات الاستوائية، يفكر ويختبر ويعيش ويصغي، في تأرجح مستمر وسحري بين الحلم واليقظة، بين الواقع والخيال، بين الروح والمادة، وأعني: بين الرواية والحياة.

متابعات

السينما والمسرح تقيم حفلاً تأبينياً للفنان المختار

مؤيد عبد الوهاب

أقامت دائرة السينما والمسرح حفلاً تأبينياً بمناسبة أربعينية الفنان عبد الخالق المختار وتضمن الحفل معرضاً فوتوغرافيا أقامه المصور علي عيسى احتوى على اكثر من ١٥٠ لوحة فنية شملت اعمال الفنان الراحل القديمة والحديثة، إضافة الى صور عن تشييع الفنان.. كما تم عرض مسرحية بعنوان «العبد المختار» من تأليف صباح الهلالي وإخراج جبار المشهداني وتمثيل آسيا كمال ومازن محمد وباسل شبيب، بمشاركة فرقة الفنون الشعبية.

تناول العمل سيرة الفنان الراحل ورحلته مع المرض وعشقه لموطنه، وقال المخرج عزام صالح عنه: صديقي وما زلت اذكره في كل فجر وأتحسسه في كل تفاصيل حياتي وأتمنى ان أقدم جزءاً من طموحاته التي نعرفها كلنا.

ويقول الفنان الشاب حميد عباس: المرحوم عبد الخالق كان صديقاً لكل الفنانين وكان المثل الأعلى لكل الفنانين الشباب لهذا فقدنا أخا ومثلا أعلى عزيزا على قلوبنا.

فيما يقول الفنان حمودي الحارثي: آخر لقاء كان مع الفنان هو في القاهرة وكنت سعيداً به كما كان هو فرحاً بحضوري للاحتفالية التي أقامها مجموعة من الفنانين العراقيين في شارع أبو الفدى على شاطئ النيل وباركت جهوده في مسلسل الباشا وتمنيت له ان يعود الى بغداد بسرعة، ولكننا فقدناه مع الأسف.

في ملتقى الخميس الإبداعي عبد الواحد محمد:

الترجمة هي انعكاس الضوء في المرآة

محمود النمر

ضيف ملتقى الخميس الإبداعي المترجم المعروف وعميد كلية اللغات الأستاذ عبد الواحد محمد، وحضرت الحفل نخبة من الأدباء والمثقفين والأساتذة، وقد قدم الندوة الشاعر عدنان الفضلي الذي رحب بالضيف المحتفى به وقال في كل أسبوع نضيف مبدعا من مبدعينا الذين تركوا اثرا واضحا في الواقع العراقي والدولي ،وهذا اليوم نحتفل بقامة عراقية أغنت المكتبة العربية والدولية بترجماتها الأدبية ،وكذلك كان أستاذاً تخرجت من تحت يديه نخبة من الطلاب الذين هم ينتمون الى منهجية هذا الأستاذ المبدع في الرعاية والترجمة.

ولد الأستاذ عبد الواحد محمد في محافظة ميسان عام ١٩٣٣اكمل دراسته الثانوية في بغداد وحصل على الماجستير من الجامعة الأمريكية في لبنان وشهادة الدكتوراه من الجامعة المستنصرية عام ٢٠٠٤ وهو الان عميد كلية اللغات في بغداد ،بعد ذلك ارتقى المنصة المحتفى به ليتكلم عن جزء من تجربته في الحياة والترجمة والتأليف اذ قال: الحياة فيها محطات كثيرة وكل محطة تتميز عن بعضها في الطفولة والابتدائية سواء كانت حزينة ام مفرحة انا اشعر بان هناك ما اسمية باللون النفسي وهو الذي يشدنا للماضي والحاضر والمستقبل والإنسان بسبب حبه لذاته مهما كانت يحب ذاته وهي قاعدة ليست ثابتة، والزمن الحاضر هو المهم في حياة كل إنسان، ام في الأدب ليست هناك قواعد ثابتة، وأنا ادرس منذ عام ١٩٥٤فكم مرت علي أسماء كثيرة ودراسات وشخوص.

وعن مجال الترجمة قال: الترجمة لها خواص معينة ويجب معرفتها وخاصة في الجانب التدريسي وهي ترجمة الجملة المركبة والترجمة المعقدة والترجمة حياة أخرى للنص والرواية لم يكن بها جانب تقديسي وهناك ترجمات أخرى وهي من لغات أخرى مترجمة أيضا من تلك اللغة التي هي ليست اللغة الأم ولا ننسى ان اللغات الأوروبية قريبة من بعضها، ولكن اللغة العربية بعيدة كل البعد عن الإنكليزية وهنا يلعب المترجم الذكي دوراً مهماً في عملية الترجمة الأمينة للنص.

وتحدث الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب العراقيين الفريد سمعان: هذا المنبر سيظل يستقبل المبدعين العراقيين الذين تنهل منهم الثقافة العراقية ،وسيظل هذا الاتحاد شعلة مضيئة للثقافة وأتمنى من الذين سيأتون من بعدنا غدا او من بعد سنة ان يسهموا في أغناء هذه الروافد حتى تستمر ثقافتنا بالعطاء الإنساني والإبداعي، مرحبا بالأستاذ عبد الواحد محمد مبدعاً وأستاذاً ومربياً، وقدم له درع الجواهري تثمينا لجهوده الإبداعية في التأليف والترجمة والتدريس.

وقال الأستاذ حازم مالك: ان عبد الواحد محمد هو (اشبيل) الأب الروحي الذي يعمد الشخص وهو يتحمل مسؤولية التربية.

وتضمنت الجلسة مداخلات عدد من الضيوف.

دوريات

حرب المعلومات في العدد الجديد من (تواصل)

محمد عبد الله

صدر العدد ٢٩ من مجلة «تواصل» الشهرية عن هيئة الإعلام والاتصالات بـ ٨٨ صفحة من القطع الكبير . وتضمن العدد مواضيع شتى في حقول الإعلام والاتصالات والتكنولوجيا وتقنيات الحاسوب، إضافة الى الأبواب في الإعلام والبحوث والصحافة.

واستهل العدد بدراسة كتبها محمد وليد صالح بعنوان «الإعلام والانتخابات.. الصورة المزدوجة» محاولا تسليط الضوء على الحملات الإعلامية والتدابير المتخذة والاستعدادات مفيدا بان تلك الحملات تقترب من الحملات السياسية، وأشار الى انها أدت دورا كبيرا في توجيه الناخبين والتأثير عليهم . وفي موضوع «الإعلام الجديد .. يعيد تشكيل خرائطه القديمة « للدكتور كاظم المقدادي تطرق فيه الى الرؤية الواسعة في رسم أهمية الثورة الإعلامية في ميدان تكنولوجيا الاتصال والتي أسهمت في اتساع رقعة المد الفضائي على حساب رقعة الإعلام المحلي الاخذ بالانحسار، وفي حقل ترجمة تواصل نقرأ موضوع «مؤشرات للإعلام في ظل الديمقراطية» حيث صدر في ٣ / ١١ / ٢٠٠٨ عن البرلمان الأوروبي قرارا يرسم فيه المبادئ الأساسية لحرية الرأي والتعبير وحق الوصول الى المعلومات في ظل الأنظمة الديمقراطية وهناك موضوع لسعاد خدا كريم بعنوان «العنف على شاشة التلفزيون» حيث تقول الكاتبة ان التلفاز يعد من الوسائل الإعلامية الأكثر تأثيرا على المتلقي وعرجت الى تعريف العنف الذي يظهر على الشاشة الأفلام ذات الطابع السوبرماني والتي ترسخ في أذهان الأطفال مشاهد العنف، إضافة الى موضوع ترجمه عادل العامل يحمل عنوان «صحف المستقبل النخبوية» وتضمن العدد موضوعا يحمل عنوان «صعود التقانة المرئية» لكاتبه ثامر كامل يشير في الى ما تثيره ظاهرة العولمة وثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال ويتساءل الباحث هل يمكن عد التطور التكنولوجي شكلا من اشكال الإنتاج الثقافي؟ ومن إعداد «تواصل» سنقرأ «أين تذهب اكنان النفايات الالكترونية» ونقرأ الجوانب الدعائية في السينما العالمية للدكتور وسام فاضل وهناك موضوع بعنوان «الثقافة العراقية تحت سلطة المحرم مرة أخرى وموضوع الحدس الفني لناظم العبيدي، إضافة الى العمود الأخير في الصفحة الأخيرة كتبه رئيس التحرير وميض إحسان بعنوان مصباح للسنة الجديدة.

كل شلاش..

المتعة والتقنية

ياسين النصير

-١-

ليست التقنية الحديثة فكرة، نحاول أن نطبقها عبر وسائل معينة، بل هي طريقة تشمل كل شيء باستطاعة الإنسان أن يعمله، ولأنها كذلك، فعناصر التدمير التراجيديه قائمة فيها. الكثير منا يضرب المثل بقنبلة هيروشيما لمعنى التقنية التقدمية التي انطوت على التدمير، وهي التي قامت على صيانة حياة الإنسان وتقدمها كي يتغلب على الأمراض والأوبئة والتخلف.الأمر أبعد من ذلك بكثير عندما تدخل التقنية في سياق حياة الأفراد اليومية، وتصبح حاجة ومادة للتداول.. هنا تبدأ المأساة الحقيقية لفكرة تقدم التقنية.

سايكولوجيا تصبح المتعة عن طريق التقنية جزءا من اللعبة البشرية التي نمارسها، ولولاها لما أمكننا أن نكون جادين، فاللعبة حياتيا تعيد ترتيب وعينا بأشياء الواقع.. الجوهر في العملية أن التقنية تستمر بالنمو وأن المتعة تتجدد مع تقدمها، ويبقى الإنسان في دوامة البحث.. ضمن هذه العملية تمارس التقنية دوراً تدميريا على الإنسان عندما لا تتناسب تقنياته مع المتع الإنسانية ،لأن المتعة هي الأخرى تتطلب نموا وهنا تبدأ أولى المشكلات التي تسبب قطيعة مع التقدم.

-٢-

تلجأ الرأسمالية الحديثة إلى زيادة الهوة بين الإنسان والتقدم بضخ ملايين السلع الجديدة في الأسواق لتغييب حقيقة أن التقدم مرحلي وأن ما يوفره من متع آني ومؤقت وأن السلعة السابقة لا يمكنه أن تلبي حاجات الإنسان الجديدة، وهنا يبدأ دور الدعاية والإعلان بتقديم تصورعن خصائص السلعة الجديدة وما توفره من متع جديدة للمشتري، وفي هذه الطريقة شيء كثير من الصدق والمعقولية ولكن لن يستمر هذا الوضع طويلا، فثمة تحول آخر سيجري على السلعة نفسها مصحوب بطريقة جديدة للإعلان عنها وتكون هذه المرة مقترنة بتجارب تقنية جديدة. وهكذا يجد الإنسان الحديث منتميا للتقنية ومجددا متعه معها دون أن يكون قد تغير جذرياً.

تنطوي المفارقة القائمة بين المتعة والتقدم على شيء من العدمية. ثمة رغبة كامنة في تقنية كل سلعة جديدة من أنها تسعى في أن تتجاوز نفسها- بمعنى أن قطع غيارها السابقة لا تصلح كقطع غيارللسلعة الجديدة، بهذه الدوامة من افتعال الهوة بين القديم والجديد تنشأ عقبات تعترض قيام تقنية إنسانية حديثة، وأهم هذه العقبات هي التناقضات التي تقف «أمام أبناء الحداثة كما يسميهم بودلير بإثارة حفائظهم» بالرغم مما تمنحه لهم من سبل تطور جديدة.

-٣-

الفكرة الجوهرية في جدلية التقدم والمتعة أن الحياة الحديثة تحمل النقيضين، المتعة والتدمير وهما ليسا بحالة إنفصال كما يبدو، وإنما في حالة إندماج داخلي، ويبقى على الإنسان الحديث أن يخلق من هذا النقيض متعه الخاصة التي تمكنه من أن يزاوج بينهما دون أن يلحق الضرر بنفسه.

ولدينا أمثلة حياتية يومية نمارسها مع التقدم ونستمتع بها،ولكننا نذهب ضحية لها خاصة في الجانب المادي، منها على سبيل المثال آلة الكومبيوتر التي نتعامل معها،هذه الآلة لا تكف عن التقدم والتطور المستمرين ومع كل حلقة من حلقات تطورها ثمة جديد يضاف إليها، تدفعنا الحاجة للحصول عليها،عندئذ نبقى مشدودين لملاحقة التطور الذي يصيب آلة الكومبيوترفي الوقت نفسه نكون قد قصرنا ماليا عن تغطية حاجات أخرى.

لعبة كرة القدم التي تتطور هي الأخرى بتقنية ومتع جديدة إلى الحد الذي أصبحت فيه واحدة من أهم أمراض القرن العشرين المحببة اجتماعيا،ولذلك درج المعنيون بها على تغذيتها بمفردات جديدة تجعلها أكثر شعبية كي تمكن أصحاب رؤوس الأموال والمستثمرين من جعلها إحدى الأفكار الكبيرة في حياة الناس اليومية، كما صيرتها الدوائر السياسية ممثلة الهوية الوطنية للدولة، وهو ما نشاهده في الفرق التي تمثل الدول رسميا،وجعلت منها شركات الدعاية والإعلان فكرة لترويج بضائعها، وحولتها الفضائيات إلى مادة يومية تتوازى تقنية وجماهيرية مع الأحداث العالمية المهمة، وصيرتها الدعاية إلى فكرة محببة للشباب عندما قرنت ارتباطها بملايين الدولارات، وسعت جهات الضغط في الكثير من الدول لتحويلها إلى فكرة التعبير عن القوة عندما أقدمت على شراء لاعبين محترفين يغيرون من مجريات اللعبة،اضافة إلى ذلك تحول اللاعبون إلى إيقونات جماهيرية تتكالب عليهم وسائل الإعلام والفتيات، وحولتها الأندية المحترفة إلى طريقة تجارية مربحة تغري الشباب في الاحتذاء بها. والحصيلة أن المتع تتطلب تجديدا مستمرا بوصفها حاجة إنسانية، وأن التقنية تلبي هذه الرغبة لدى الإنسان بالتغيير المستمر في سياقاتها الفنية فتقدم له في كل فترة جديدا متميزا.. لكن الإنسان نفسه سيكون ضحية في جانب ما من حياته لهذا التقدم: أولا لعدم اشباع رغباته المنفتحة على التجديد، وثانيا،لأن المؤسسات التي تقوم على هذه العملية تتفرد في التحكم بقيم المجتمع وتقوده إلى ما تريد هي، ولذلك تشير دراسات عديدة أخرها دراسة استرالية اشارت أن سبب انخفاض نسب التعليم بين الشباب يعود إلى أهمية الايقونة الجماهيرية في لعبة كرة القدم في حياتهم، ومن ثم السعي للاحتذاء بها، وعندما لا تكون الفرص متاحة للجميع تنشأ أولى الصدامات مع فكرة التقنية المتقدمة.

لعبة كرة القدم التي تتطور هي الأخرى بتقنية ومتع جديدة إلى الحد الذي أصبحت فيه واحدة من أهم أمراض القرن العشرين المحببة اجتماعيا،ولذلك درج المعنيون بها على تغذيتها بمفردات جديدة تجعلها أكثر شعبية كي تمكن أصحاب رؤوس الأموال والمستثمرين من جعلها إحدى الأفكار الكبيرة في حياة الناس اليومية، كما صيرتها الدوائر السياسية ممثلة الهوية الوطنية للدولة، وهو ما نشاهده في الفرق التي تمثل الدول رسميا،وجعلت منها شركات الدعاية والإعلان فكرة لترويج بضائعها، وحولتها الفضائيات إلى مادة يومية تتوازى تقنية وجماهيرية مع الأحداث العالمية المهمة، وصيرتها الدعاية إلى فكرة محببة للشباب عندما قرنت ارتباطها بملايين الدولارات، وسعت جهات الضغط في الكثير من الدول لتحويلها إلى فكرة التعبير عن القوة عندما أقدمت على شراء لاعبين محترفين يغيرون من مجريات اللعبة،اضافة إلى ذلك تحول اللاعبون إلى إيقونات جماهيرية تتكالب عليهم وسائل الإعلام والفتيات